روسيا والبريكس:

الإمكانات والتطلعات

أ.د. أحمد عبد الحافظ فواز
أستاذ مساعد العلوم سياسية
كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة

مقدمة

مرت روسيا فى مرحلة ما بعد تفكك الاتحاد السوفيتي بالعديد من المنعطفات سواء فى علاقاتها بالغرب أو فى أوضاعها الداخلية سياسياً واقتصادياً أو عبر محاولتها استعادة مكانتها العالمية، ففى مطلع تسعينيات القرن العشرين مع بداية حكم بوريس يلتسين ظنت القيادة الروسية أن التقارب مع الغرب سيقيلها من عثراتها الاقتصادية لكنها لم تحظَ بذلك الدعم المتوقع وازدادت الأمور سوءاً بمطالباتٍ انفصاليةٍ أو مزيدٍ من سلطات الحكم الذاتي من بعض جمهورياته ذات الحكم الذاتي. وشهدت روسيا خلال تلك الحقبة حربين شيشانيتين تكبت خلالهما خسائر بشرية ومادية وراح ضحيتها – ما بين قتيل ومفقود – الآلاف سواء من المقاتلين والمدنيين بالجمهورية أو من بين صفوف القوات الروسية.

وعلى الصعيد الاقتصادي شهد الناتج المحلي الإجمالي فى روسيا انخفاضاً بحوالي ٣٠ بالمئة خلال الفترة من عام ١٩٩٢ حتى عام ١٩٩٨، وساهم تناقص معدل المواليد مع موجات الهجرة الخارجية فى تقليص الأيدي العاملة من السكان فى سن العمل.(١) غير أن وصول فلاديمير بوتين لرئاسة وزراء روسيا فى أغسطس ١٩٩٩ ثم توليه رئاسة الدولة رسمياً فى مايو من عام ٢٠٠٠ كان إيذاناً بعهد جديد تمكنت فيه روسيا – إلى حدٍ كبير – من فرض سيطرة المركز على الأطراف وإعادة الاستقرار للمناطق المضطربة ومواجهة المساعي الأوروبية الرامية لمد سيطرتها إلى دول تعتبرها روسيا عمقاً استراتيجياً لها فيما أطلقت عليه الجوار القريب .

من ثم ترى روسيا ضرورة الاستعداد عبر كافة السبل لأيــة مواجهــات مــستقبلية. وصرح رئيس هيئة الأركان العامة الروسية أن روسيا قد تجد نفسها مضطرة للدخول فى صراع مسلح حيث تتنافس القوى الكبرى على الموارد، وكثير من تلك المــوارد يوجــد سواء فى روسيا أو فى دول جوارها القريب. وتوقع أنه بحلول عــام ٢٠٣٠ ســتتزايد التهديدات المحتملة.(٢) لذلك سعت روسيا إلى العودة بقوة للساحة العالمية لتدافع عــن مصالحها وتقف أمام الغرب نداً مكافئاً له فى العديد من القضايا التي بــدا واضــحاً أن موسكو فرضت نفسها فيها لاعباً أساسياً لا يمكن تجاهله فــى إدارة تلــك القــضايا أو سيناريوهات الحل المطروحة لها.

أولاً: روسيا واستراتيجية التحالفات

اهتمام موسكو بالاستعدادات العسكرية لم يكن يعني غياباً للأدوات الاقتصادية؛ فقــد كان من بين وسائل روسيا لتحقيق الأهداف السابقة التحالف مع قوى أخرى – غير تلــك المنتمية لأوروبا وأمريكا الشمالية – فى النظام الدولي، ولهذا لم يكن ذلك مستغرباً فــى ظل اختلاف المواقف بين روسيا وغالبية دول غرب أوروبا؛ اهتمام روســيا بانتمائهــا الآسيوي لتجد لنفسها مكاناً بين تكتلات تلك القارة التي تعددت إلى درجة توصيفها بقارة التكتلات.(٣)

لكن قضية الانتماء والهوية ليست هي المحرك لروسيا فى استراتيجيات التحالف وإنما الأولوية للبراجماتية وتحقيق المصلحة الوطنية، فعلى الرغم من اختلاف الثقافة والخــبرة التاريخية عن أعضاء منظمة التعاون الإسلامي وتأثر صورة روسيا سلباً فى الأوســاط الشعبية بالدول الإسلامية جراء حربيها فى الشيشان إلا أن موسكو كانت دوماً تؤكــد أن حربها فى الشيشان ليست ضد مسلميها وإنما ضد جماعات إرهابية تسعى لنشر أفكارها المتطرفة فى جمهورية الشيشان المسلمة وما حولها من جمهوريات شمال القوقاز.(٤) بل إن موسكو سعت للانضمام لمنظمة التعاون الإسلامي وتمكنت بالفعل فى عام ٢٠٠٥ من الحصول على صفة عضو مراقب. وفى سعيها للتعاون الاقتصادي مع أعضاء منظمــة التعاون الإسلامي انطلقت قمة قازان – عاصمة جمهورية تتارستان الروسية – فى مايو ٢٠١٦ والتي ناقشت موضوعات مثل بنية النظام الاقتصادي العالمي ونظــام الــصيرفة الإسلامي.(٥)

ومن بين هذه التكتلات مجموعة البريكس التي أشارت روسيا خلال رئاستها لها عام ٢٠١٥ وعبر إحدى وثائق المنظمة أن أحد أبرز أهداف التكتل هو ضمان مستوى نوعي جديد للتفاعل مع المنظمات الدولية(٦)، وهو ما أكدته أيضاً خطابات المسئولين الروس، كتصريح وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف فى يناير ٢٠١٥ بأن روسيا ستستغل فترة رئاستها لمنظمة شنغهاي للتعاون ومجموعة "بريكس" فى عام ٢٠١٥ لمنح نشاط هذين الإطارين نبضاً جديداً مضيفاً أن روسيا عملت بنجاح فى عام ٢٠١٤ فى مختلف المحافل متعددة الأطراف، بما فى ذلك مجموعة "بريكس" ومنظمة شنغهاي للتعاون ومجموعة العشرين(٧)، وكذلك تصريح رئيس الوزراء الروسي ديميتري ميدفيديف بأنه للحصول على مزايا تفضيلية للمشروعات الروسية من الضروري الانخراط فى أشكال اندماج وتعاون للحصول على أنظمة تجارة خاصة مع دولٍ بعينها.(٨)

تكتل البريكس BRICS هو اختصار الأحرف الأولى للدول المكونة له (البرازيل وروسيا والهند والصين وجنوب أفريقيا)، وكانت البداية فى عام ٢٠٠١ مع استخدام جيم أونيل – كبير الاقتصاديين فى مؤسسة جولدمان ساكس – مصطلح البريك؛ حيث انضمت جنوب أفريقيا لاحقاً فى عام ٢٠١٠(٩)، ومنذ ذلك الحين أضحى التكتل يحوز اهتماماً واضحاً بين الأكاديميين والدوائر العامة الأوسع، وأرجعت مجلة الإيكونوميست فى عام ٢٠١٠ ذلك الاهتمام لما لهذا التكتل من وزن اقتصادي(١٠)، فعلى الرغم من أنه يضم خمس دول فقط إلا أن إجمالي مساحة تلك الدول يوازي ٢٩,٢ بالمئة – أي ما يزيد على الربع – من مساحة اليابسة، ويبلغ إجمالي عدد سكانها قرابة ٤٠ بالمئة من سكان العالم، وتنتج مجتمعة ٣٠,٨ بالمئة من الناتج المحلي الإجمالي للعالم، وحوالي ٤٣,١ من الإنتاج الزراعي العالمي.(١١)

تغيرت البيئة الاقتصادية العالمية منذ ظهور التكتل الذي زادت أهميته بشكل متسارع فتزايد إسهام أعضائه فى النمو الاقتصادي العالمي من ١٦ بالمئة فى تسعينيات القرن العشرين إلى حوالي ٣٠ بالمئة خلال الفترة بين عامي ٢٠٠٠ – ٢٠٠٨. وإذا ما استمرت معدلات نمو اقتصاديات أعضائه بذات الشكل فإنه يتوقع بحلول عام ٢٠٤٠ أن تصبح الصين صاحبة أكبر اقتصاد فى العالم يليها الولايات المتحدة، الهند، اليابان،

المكسيك، روسيا، على الترتيب. ويصبح الناتج المحلي الإجمالي المتوقع عام ٢٠٤٥ لدول التكتل مجتمعه حوالي ٦٩,٣٤ تريليون دولار(١٢)، وعلى الرغم من وضع بعض المؤسسات الدولية – مثل البنك الدولي – لتوقعات أقل تفاؤلاً من تلك الأرقام إلا أن التكتل يظل أحد أهم التكتلات الاقتصادية التي شهدها العالم فى العقدين الأخيرين .

أما عن روسيا فتأتي فى مقدمة أعضاء التكتل من حيث المساحة التي تبلغ ١٧,١ مليون كيلو متر مربع، وهو ما يجعلها كبرى دول العالم مساحةً(١٣)، كما بلغ عدد سكانها ١٤٣,٥ مليون نسمة – طبقاً لإحصاء ٢٠١٢ – ووصل الناتج المحلي الإجمالي فى ذلك العام ٢,٠١٥ تريليون دولار بمعدل نمو بلغ ٣,٤ بالمئة (١٤) وتتمتع روسيا بكم هائل من الموارد الطبيعية مثل النفط والغاز والفحم والحديد والمنجنيز والنحاس والرصاص وغيرها(١٥).

لذلك فإن تطبيق المؤشرات التقليدية لقوة الدولة – كعدد السكان، والناتج القومي الإجمالي، وحجم وتسليح القوات المسلحة – يشير إلى تحول روسيا لقوة عظمى ناشئة فى مجال الطاقة وكذلك احتفاظها بمصادر قوة ورثتها عن الاتحاد السوفيتي كحجم سلاحها النووي وقواتها المسلحة، هذه القدرات صاحبتها سياسة خارجية تسعى إلى حماية مصالحها الاقتصادية وجذب الاستثمارات لروسيا والوصول للأسواق الخارجية(١٦)، وإضافة لتلك الأهداف ذات الطبيعة الاقتصادية كانت هناك سياسية استراتيجية تتمحور حول إصرار موسكو على استرجاع مكانتها الدولية كقوة عظمى صاحبة تأثير فى السياسة العالمية والنظام الدولي(١٧).

ثانياً: روسيا والبريكس: المساهمات والعوائد

تمكنت اقتصاديات دول البريكس الخمسة فى عام ٢٠١٢ من جذب ٢٠ فى المائة من الاستثمار الأجنبي العالمي فى عام ٢٠١٢، مقابل ٦ فى المائة قبل عشر سنوات، بحسب تقرير مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية "أونكتاد". وكان من أهم عوامل نجاح ذلك التكتل تخفيف التشريعات المالية والمتطلبات الضريبية فى أعمال التجارة فيما بينها، إضافة إلى حزمة إصلاحات تسهّل على البنوك والمؤسسات المالية الأخرى الاستثمار والعمل فى الدول الأخرى، كما استطاعت دول المجموعة أن تسجل قفزة هائلة باستثمار

١٢٦ مليار دولار فى الخارج خلال عام ٢٠١٢، وهو ما يمثل ٩ فى المائة من مجموع الاستثمار العالمي، مقابل سبعة مليارات فقط فى عام ٢٠٠٠ بما كان يمثل واحد فى المائة.(١٨)

وأبرز تقرير التنافسية العالمية ٢٠١٦ – ٢٠١٧ بعض علامات التقارب فى القدرة التنافسية بين أكبر الأسواق الناشئة فى العالم، فعلى الرغم من حلول الصين فى المركز الثامن والعشرين وتصدرها لدول البريكس مجدداً، إلا أن التقدم الذي أحرزته الهند، والتي تقدمت ست عشرة مرتبة لتحل فى المركز التاسع والثلاثين، يعني تقليص الفجوة ما بين الصين ونظائرها، وتقدمت كلٌ من روسيا وجنوب أفريقيا مرتبتين لتحلا فى المركزين الثالث والأربعين والسابع والأربعين على التوالي بينما تراجعت البرازيل ست مراتب لتحل فى المركز الحادي والثمانين.(١٩)

كما توقعت مؤسسة ستاندارد آند بورز (S&P) للتصنيف أن تشهد مجموعة البريكس معدلات نمو اقتصادي أفضل فى عام ٢٠١٧، وأرجعت المؤسسة ذلك إلى تعافي روسيا والبرازيل من الركود الاقتصادي، وتحسن الأداء الاقتصادي لكل من الهند وجنوب أفريقيا. وكان الاستثناء الوحيد هو التراجع الطفيف للنمو الاقتصادي فى الصين عن ذلك المعدل المرتفع الذي شهده عام ٢٠١٦(٢٠).

أما عن وضع روسيا داخل التكتل فعلى الرغم من الضرر البالغ الذي لحق بالاقتصاد الروسي فى مطلع عام ٢٠١٥ جراء تقلبات أسعار النفط فى الأسواق العالمية، وتراجع سعر صرف الروبل الروسي مقابل سلة من العملات، إلا أن استقرار أسعار النفط فوق مستوى ٥٥ دولاراً للبرميل فى شهر يوليو من العام ذاته ساعد على بداية تعافي الاقتصاد الروسي، ولم تمنع تلك الظروف أن تأتي روسيا فى المرتبة الأولى من حيث الجاذبية الاستثمارية فى عام ٢٠١٥ ضمن تكتل دول "بريكس" متقدمة على الصين، وفقاً لنتائج مسح أجرته وكالة "بلومبيرج" الأمريكية(٢١).

حيث شهد شهر يوليو من عام ٢٠١٥ أيضاً توقيع البنوك المركزية للدول الأعضاء فى التكتل اتفاقاً لصندوق احتياطي نقدي مشترك. يكفل ذلك الصندوق للبنوك المركزية للدول الأعضاء توفير الدولار الأمريكي لبعضها البعض إذا ما واجهت مشاكل فى

السيولة الدولارية، بلغت القيمة الإجمالية للصندوق ١٠٠ مليار دولار كان النصيب الأكبر فيه للصين التي تشارك بمبلغ ٤١ مليار دولار حسبما ذكر البنك المركزي الروسي في بيان، وتساهم كل من البرازيل والهند وروسيا بمبلغ ١٨ مليار دولار وجنوب افريقيا بخمسة مليارات دولار(٢١).

وأُطلق على الصندوق بنك التنمية الجديد ورأى محللون أن مبادرة إنشاء ذلك البنك تعكس شعوراً بالإحباط لدى دول البريكس من اتفاقية بريتون وودز التي لم تحظ فيها الدول النامية بتمثيل مناسب، وكانت من نتائج ذلك حالات من إخفاق صندوق النقد الدولي فى تطبيق إصلاحات تضمن للدول النامية حصصاً تصويتية تكافئ أوزانها الاقتصادية الحالية(٢٣)، فقد رأت صحيفة الجارديان البريطانية – على سبيل المثال – أن البنك الجديد لديه الفرصة ليتعلم الدروس من خبرات مؤسسات أخرى كي ينجح فيما فشل فيه البنك الدولي فى قضايا مثل ضمان أن مشروعات البنية التحتية لن تكون على حساب حقوق الإنسان بالدول صاحبة المشروعات. فبعض المشروعات التي مولها البنك الدولي نتج عنها فى بعض الأحيان – على سبيل المثال – إعادة توطين قطاعات من السكان أو تأثيرات بيئية سلبية أثرت على الوصول للماء أو الغذاء أو أضرت بصحة المواطنين(٢٤).

وعلى الرغم من الاحتفاء بتأسيس بنك التنمية الجديد والتفاؤل الذي صاحب إنشاءه كأحد البدائل المطروحة – وإن كان بحدودٍ معينة – للبنك الدولي إلا أن أعضاء التكتل كانت حريصة على تأكيد أن السياسات النقدية وحدها لا تكفي لتحقيق نمو متوازن ومستدام وأنه ينبغي الاهتمام بالتصنيع والتنمية الصناعية. وأعاد الرئيس بوتين التأكيد على ضرورة اتباع استراتيجيات تسعى للمزيد من التعاون والاستثمارات المتبادلة، والاستفادة من أنشطة البنك الجديد لجعل القطاع الخاص أكثر نشاطاً وفاعلية(٢٥)، وفى يوليو ٢٠١٧ نشر البنك استراتيجيته للتنمية التي تسعى للتوسع التدريجي وضم دول جديدة من مختلف مناطق العالم خلال الخمس سنوات القادمة. وعلى الرغم من عدم الكشف عن ماهية تلك الأعضاء الجدد إلا أن زيادة عدد الأعضاء تهدف بالأساس إلى زيادة دور البنك على الساحة الدولية، وتنويع محفظته الائتمانية وتعزيز تصنيفه، وكذلك زيادة رأس المال(٢٦).

وفيما يعد تأكيداً على المناخ الذي وفرته روسيا لتشجيع الاستثمار ومدى استفادتها من بنك التنمية الجديد جاء تصريح رئيس البنك كندابور فامان كاماث فى أكتوبر ٢٠١٦ أن مشروعات البنية التحية من الطرق والسكك الحديدية فى روسيا تعد من أولويات تقديم الدعم المالي من البنك(٢٧)، وفي مطلع يونيو ٢٠١٧ صرح كاماث بأن البنك يدرس تمويل عدة مشاريع فى باشكورتوستان – إحدى الجمهوريات ذاتية الحكم فى روسيا – وسيبدأ البنك خلال عام ٢٠١٧ بمشروعين منها على الأقل(٢٨).

لكن الأولويات الاقتصادية الواضحة لمنظمة البريكس لا تنفي عنها السعي لتحقيق أهدافٍ السياسية، فالتزام دول بريكس بالتطوير الشامل للنمو الاقتصادي والاستقرار المالي، صاحبه أيضاً رغبة أعضائها – خاصةً روسيا والصين – فى تشكيل نظام عالمي متعدد الأقطاب. من بين سبل تحقيق تلك الغاية كان عمل الدول الأعضاء على اتخاذ مواقف متقاربة بشأن القضايا العالمية والإقليمية، والدعوة إلى اتخاذ إجراءات حازمة لمكافحة الإرهاب، وبذل الجهود المشتركة الرامية إلى مواجهة التهديدات والتحديات المشتركة الأخرى، حيث تحترم سيادة الدول دون أن يملي أحد على غيره سياسةً بعينها(٢٩).

وعلى الرغم من تباين النظم السياسية لأعضاء البريكس والتي توقع بعض المحللين أن تقف حائلاً أمام تعاون تلك الدول إلا أنها نجحت فى صياغة مواقف مشتركة تستند إلى مبدأيّ احترام السيادة وعدم التدخل فى شئون الدول الأخرى. وقد بدا ذلك فى إجماعها على رفض تدخل الناتو فى ليبيا لتجاوزه تفويضه الإنساني كما اعترضت تلك الدول على العقوبات الأوروبية الساعية لعزل روسيا عقاباً لضمها شبه جزيرة القرم(٣٠). أما عن الرغبة فى تشكيل نظام عالمي متعدد الأقطاب فليست قاصرة على دول التكتل فحسب؛ حيث يشاركها تلك الرغبة دولٌ أخرى مثل المكسيك وكوريا الجنوبية وتركيا وماليزيا، وهي دول تسعى للاضطلاع بأدوار أبرز فى السياسات العالمية مما هو الحال عليه الآن(٣١).

حيث كان من بين العوائد السياسية التي تحصلت عليها روسيا من كونها عضواً فى البريكس أنها سعت لتوظيف المجموعة لتكون ظهيراً سياسياً داعماً لها ومنبراً تستخدمه

كلما تصاعدت ضدها مساعي الدول الغربية لعزلها. فعلى سبيل المثال تتخذ أحياناً الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية ملف حقوق الإنسان في روسيا لتوجيه الانتقادات لموسكو وفرض مزيد من الضغوط عليها، وعادةً ما يتم ذلك عبر المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان ،ومن جانبها تتهم روسيا المحكمة بأنها مسيسة.

ولم تكتف روسيا بانتقاد المحكمة الأوروبية لكنها أيضاً اقترحت أن تنشئ مجموعة البريكس فى إطار التنظيم محكمة مناظرة. ففي يونيو٢٠١٧ صرحت إلينا ستورمينا – رئيس لجنة الغرفة الأهلية الروسية للدبلوماسية العامة/الشعبية ودعم المغتربين بالخارج (Russian Civic Chamber's Committee on Public Diplomacy and Support for Compatriots Abroad) – أن الغرفة تخطط لإرسال مقترح لوزارة الخارجية الروسية لتأسيس بديل للمحكمة الأوروبية فى إطار البريكس. لكن أليكساندر برُد – رئيس مكتب موسكو لحقوق الإنسان – يرى أنه من المبكر تقييم هذه المبادرة حيث يثير طرحها تساؤلات أكثر من تقديمه لإجابات. وأضاف أن مقترحات كتلك الداعية لإنشاء محاكم حقوق إنسان أخرى تكررت كثيراً فى العقد الأخير لكن تلك المبادرات لم تذهب لأبعد من ذلك. فعلى الرغم من إقرار برُد بوجود انتقادات من جانب الناشطين الحقوقيين لأنشطة وقرارات المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان خاصة بالانحياز السياسي، إلا أن الكيان المقترح ستكون له نواقصه أيضاً، فالمحكمة الأوروبية هي الركيزة الأساسية لحماية حقوق الإنسان فى ٤٧ دولة عضو فى مجلس أوروبا، بينما فكرة المحكمة الجديدة ستتم مناقشتها فقط فى منبر البريكس وسيكون بمقدور عدد محدود من الأفراد اللجوء لتلك المحكمة وتقديم التماسات لها(٣٢)، رغم تلك الصعوبات المشار إليها حول تلك المحكمة إلا أن طرح الفكرة فى حد ذاتها والإعلان عنها يعد من دلائل السعي الروسي لإيجاد مؤسسات بديلة لتلك التي تهيمن على الساحة العالمية.

ومن ثم فان استعادة روسيا لمكانتها الدولية ربما يقتضي أيضاً المساهمة فى صياغة المفاهيم وتحديد المعايير التي على أساسها يتم التعامل مع القضايا الهامة كالإرهاب. يمكن فى ذلك الإطار فهم الدعوة التي وجهها نيكولاي باتروشيف – سكرتير مجلس الأمن الروسي – لدول البريكس للانضمام لقاعدة بيانات مناهضة الإرهاب التي أنشأها

فى روسيا جهاز الأمن الاتحادي، استطاعت قاعدة البيانات تلك جمع معلوماتها عن الأفراد المتورطين فى أنشطة إرهابية وأولئك المنضمين لجماعات متطرفة عبر الاستعانة أيضاً بمساعدة ٣٣ جهاز مخابرات أجنبي(٣٣)، وكما أشرنا سابقاً سعت روسيا لتجعل من البريكس ظهيراً سياسياً داعماً لها خاصة فى القضايا الدولية الخلافية؛ لذا كان تصريح نائب وزير الخارجية الروسي سيرجي ريابكوف فى أكتوبر ٢٠١٦ بأن موسكو تعوّل على دعم دول البريكس لاقتراباتها وتقييماتها للوضع فى سوريا، وأشار إلى أن دول المجموعة جميعها لا ترغب فى أن ترى حلاً عسكرياً للصراع الدائر فى سوريا أو فى أي من مناطق الشرق الأوسط(٣٤).

ثالثا: العلاقات الروسية - الصينية فى إطار البريكس

يرى بعض المحللين أن قيام البريكس كان إحدى محاولات كلٍ من الصين وروسيا مواجهة المنافسة المتزايدة يوماً بعد يوم من جانب الولايات المتحدة للعب دور قيادي فى النمو الاقتصادي لآسيا والمحيط الهادي وكبح الهيمنة الصينية على المنطقة، لذلك يأتي دور روسيا فى تعزيز الشراكة الاستراتيجية مع الصين كمدخل لتوثيق التعاون مع الآسيان والوقوف أمام مساعي بسط النفوذ الأمريكي والعمل على مواءمة النظام التجاري والمالي العالمي وتعزيز دور البلدان غير الغربية(٣٥)، وفي ذلك السياق جاءت مقترحات روسيا فى أبريل ٢٠١٧ للدول الأعضاء فى منظمة التجارة العالمية بضرورة استحداث آليات جديدة تضمن شفافية أنظمة المراقبة وتيسر الإجراءات الإدارية وتحفز حواراً فعالاً بين المستثمرين وسلطات الدول المعنية، وفي مطلع أغسطس ٢٠١٧ اجتمع وزراء التنمية الاقتصادية والتجارة لدول البريكس فى مدينة شنغهاي الصينية للتباحث حول قضايا التجارة الإلكترونية وتحفيز الاستثمارات والتحضير للاجتماع الوزاري بمنظمة التجارة العالمية، وقد انتهزت روسيا تلك الفرصة لتناشد أعضاء البريكس دعم مقترحها المقدم لمنظمة التجارة(٣٦).

وتبرز أهم مجالات التعاون بين بكين وموسكو فى كلٍ من أمن الطاقة والعلاقات العسكرية، فيما يخص أمن الطاقة فكما تسعى روسيا إلى الوصول لأسواق غير أوروبية فإن الصين – التي تستورد ما يقرب من نصف احتياجاتها النفطية – تعمل هي الأخرى

على تنويع مصادر إمدادات الطاقة التي يأتي معظمها فى الوقت الحالي من الشرق الأوسط وهي المنطقة التي أضحى الاضطراب سمتها الأساسية. لذا كان على الصين الاعتماد على مصادر أخرى بديلة كآسيا الوسطى وروسيا(٣٧)، أما عن التعاون العسكري بين الدولتين فيعود لعقود سابقة لعبت فيها روسيا دور المصدر الرئيس للسلاح فى الصين خاصةً منذ أن فرضت الدول الغربية حصارها على الأخيرة فى عام ١٩٨٩ ثم أضحت صادرات السلاح الروسي أساس عمليات التحديث التي شهدتها القوات البحرية والجوية الصينية(٣٨).

وفي دلالةٍ على حرص كل من روسيا والصين على توطيد علاقاتهما وتحالفاتهما الاستراتيجية عقد فى موسكو فى الفترة ٣٠-٣١ مايو ٢٠١٦ مؤتمر ضم ممثلين عن الحكومات والأوساط الأكاديمية ورجال الأعمال من البلدين لبحث حالة العلاقات الروسية – الصينية ومناقشة سبل تعزيز تلك العلاقات، حيث صرح وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف خلال المؤتمر قائلاً "إن مستوى العلاقات بين بلدينا يمثل نموذجا للتعاون فى القرن الحادي العشرين، والذي يمثل التعاون الأعلى فى الواقع من المنظور التاريخي." لكن ذلك التصريح لا يعني تطابق وجهات نظر البلدين حيال كل القضايا محل اهتمام الطرفين. فقد أضاف لافروف فى المؤتمر ذاته "إن هذه العلاقة لا تعني التستر على الأسئلة التي لم نتوصل بعد إلى توافق حولها، بل مناقشتها بطريقة صادقة وودية ومحترمة للتوصل إلى اتفاقات مفيدة للطرفين"(٣٩).

مستقبل روسيا والبريكس

تثور التساؤلات حول مستقبل روسيا عموماً على المدى القصير: هل ستستمر سياسة الغرب حيالها تجمع ما بين الاحتواء تارةً والإدماج تارةً أخرى حسب المنطقة والقضية محل الاهتمام؟ هل العقيدة البوتينية (Putinism) ستتغير، وإن حدث ذلك ففي أي اتجاه؟(٤٠)، أما عن مستقبل روسيا فى البريكس ومستقبل المجموعة ذاتها فإن بعض المحللين الروس يضعون تصورات متفائلة بذلك الخصوص. فتولورايا على سبيل المثال يرى أنه "بحلول عام ٢٠٢٥، ستكون "بريكس" قد زادت من حصتها فى الاقتصاد العالمي والتجارة العالمية. وسوف تتشكل منظومة مالية عالمية جديدة وسيكون لها انتشار واسع

بالمقارنة مع الوضع الراهن، أو قد يكون لها منظومتها المالية الخاصة التي تسمح بدعم اقتصاد كل بلد من بلدانها. وسوف يزداد التبادل الإنساني والثقافي بشكل كبير، وبالمحصلة سوف يرتفع مستوى المعيشة، وسوف تُحل كثير من القضايا الاجتماعية، كما سينفذ عدد كبير من مشاريع البنى التحتية(٤١).

وعلى الرغم من امتلاك أعضاء بريكس – باستثناء جنوب أفريقيا – لاحتياطيات متميزة من النفط والغاز إلا أن أمن الطاقة والاهتمام بالأشكال غير التقليدية والمتجددة للطاقة والحديث عن نقل التكنولوجيا النظيفة شغل حيزاً هاماً من خطاب ممثلي تلك الدول. ففي اجتماع للتكتل فى أكتوبر ٢٠١٥ أكد ممثل روسيا "على أولويات الطاقة والأمن الإلكتروني وحماية البيئة والتغيرات المناخية والموارد المائية والتلوث"(٤٢).

أما عن موقف التكتل من النظام العالمي والسياسات العالمية فقد توافقت الصين وروسيا على الرغبة فى إقامة نظام اقتصادي وسياسي عالمي متعدد الأقطاب. وساهم وجود كليهما فى تنظيمات كمنظمة شنغهاي للتعاون ومجموعة البريكس وعضوية كلٍ منهما الدائمة فى مجلس الأمن الدولي فى صياغة مواقف متقاربة – إلى حدٍ بعيد – حيال العديد من القضايا الدولية خاصة فى ظل حرص الطرفين على التعاون الاقتصادي والعسكري وتطوير تلك العلاقات بما يحقق المصالح المشتركة لكليهما .

قائمة المراجع

(1) Esther Eidinow and Adrian Taylor, ***Russia and the World: Scenarios to 2025*** (Geneva: World Economic Forum, 2015), p. 6.

(2) Andrew Monaghan, "Russia's world: Facing a century of instability," ***European Union Institute for Security Studies (EUISS)***, February 2016, p. 2.

(٣) لمزيد من التفصيل حول المنظمات الإقليمية فى آسيا، انظر: نيللي كمال الأمير، "آسيا قارة التكتلات :دور المنظمات الإقليمية فى تحفيز التنمية الآسيوية،" **دورية آفاق آسيوية**، العـــدد الأول (مايو ٢٠١٧)،الهيئة العامة للاستعلامات ، القاهرة ،ص ص ١٤٣-١٥٠.

(٤) أحمد عبد الحافظ فواز، "المسلمون فى روسيا: ما بيـــن الإرث التـــاريخي والإشـــكاليات المعاصرة،" **مجلة المستقبل العربي**، العدد ٤٤٢ (ديسمبر ٢٠١٥)، بيروت، ص ٧٧.

(٥) تتارستان هي إحدى جمهوريات الحكم الذاتي المسلمة الواقعة بمنطقـــة حـــوض الفولجـــا والأورال فى روسيا، لمزيد من التفاصيل حول قمة قازان، انظر: "قمة اقتصادية روسية – إسلامية فى قازان،" **آر تي (روسيا اليوم) العربية** (١٩ مايو ٢٠١٦)، متاح على الرابـــط التالي:
https://arabic.rt.com/news/823851 (accessed 15 August 2017).

(٦) تتناوب دول البريكس الرئاسة بشكل دوري لمدة عام، والفترة المشار إليها لرئاسة روســـيا للتكتل بدأت فى مطلع أبريل ٢٠١٥. لمزيد من التفاصيل حول سعي روسيا لمزيـــد مـــن التواصل مع المؤسسات الدولية، انظر:
Marina Larionova, "Russian BRICS Presidency: Models of Engagement with International Institutions", in New Mechanisms for International Cooperation: Opportunities and Challenges, ***International Organisations Research Journal***, Vol. 11. No. 2 (2016), p. 84.

(٧) أشرف الصباغ، "شنغهاي وبريكس فى مواجهة القطبية الأمريكية والحفاظ علـــى الأمـــن الدولي" ، **آر تي (روسيا اليوم) العربية** (٦ يوليو ٢٠١٥)، متاح على الرابط التالي:
https://arabic.rt.com/news/787838 (accessed 15 August 2017).

(8) Russian PM says integration within ASEAN, BRICS should be intertwined with business, ***Russian News Agency*** (27 September 2016), available at:
http://tass.com/economy/902511 (accessed 10 August 2017).

(٩) صادق علي حسن، "القوة المادية والتكتلات الاقتصادية،" **مركز البيان للدراسات والتخطيط** (١٨ يوليو ٢٠١٦)، متاح على الرابط :
http://www.bayancenter.org/2016/07/2271/ (accessed 10 August 2017).

(10)Mathilde Chatin & Giulio M. Gallarotti, "The BRICS and soft power: an introduction", ***Journal of Political Power***, Vol. 9, No. 3 (2016), p. 335.

(11)Veronika Chernova, Ekaterina Degtereva & Alexander Zobov, "Scientific-Industrial and Economic Cooperation Between Russia and BRICS States: Proposal of Effective Forms and Mechanism," ***Journal of Comparative Asian Development***, Vol. 15, No. 3 (2016), p. 333.

(12)Golam Mostafa and Monowar Mahmood, "The rise of the BRICS and their challenge to the G7," ***International Journal of Emerging Markets*,** Vol. 10 No. 1, 2015, p. 159.

(13)Veronika Chernova, Ekaterina Degtereva & Alexander Zobov, *op. cit.*, p. 335.

(14)Center for BRICS Studies & BRICS Business Council, ***BRICS Information***: available at:
http://www.brics-info.org/countries/russia/ (accessed 10 August 2017).

وزاد عدد سكان روسيا طبقاً لتقديرات ٢٠١٧ إلى حوالي ١٤٤,٥ مليون نسمة. لكن تشير تقديرات صندوق النقد الدولي إلى صعوبات تواجه الاقتصاد الروسي حسب بيانات يونيو ٢٠١٧، فقد بلغ الناتج المحلي الإجمالي لعام ٢٠١٦ حوالي ١,٣ تريليون دولار.

(15)Veronika Chernova, Ekaterina Degtereva & Alexander Zobov, *op. cit.*, p. 335.

(١٦) علاء عبد الحفيظ محمد، "تأثيرات الصعود الروسي والصيني فى هيكل النظام الدولي فى إطار نظرية تحول القوة،" **المجلة العربية للعلوم السياسية**، العددان ٤٧-٤٨ (صيف – خريف ٢٠١٥)،بيروت، ص ١٢.

(١٧) لمزيد من التفاصيل حول السياسة الخارجية الروسية فى الألفية الثانية، انظر: محمد مجدان، "سياسة روسيا الخارجية اليوم: البحث عن دور عالمي مؤثر،" **المجلة العربية للعلوم السياسية**، العددان ٤٧-٤٨ (صيف – خريف ٢٠١٥)،بيروت، ص ٤٠.

(١٨) آسيا آل الشيخ، "مجموعة البريكس.. النموذج المناسب،" **جريدة الاقتصادية** (١٣ فبراير ٢٠١٤)، متاح على الرابط:
http://www.aleqt.com/2014/02/13/article_825224.html (accessed 7 August

2017).

(١٩) "انخفاض الانفتاح يشكل خطراً كبيراً على التنافسية العالميـــة،" المنتـــدى الاقتـــصادي العالمي، **إصدارات إخبارية** (٢٨ سبتمبر ٢٠١٦)، متاح على الرابط التالي :
http://www3.weforum.org/docs/Media/GCR1617/GCR16_Arabic.pdf (accessed 17 August 2017).

(20)Helmo Preuss, "S&P sees 'better' growth in BRICS in 2017," ***The BRICS Post*** (20 March 2017), available at :
http://thebricspost.com/sp-sees-better-growth-in-brics-in-2017/#.WZ4KOigjHIU (accessed 15 August 2017).

(٢١) "بلومبرغ": روسيا الأفضل للاستثمار ضمن تكتل "بريكس"، آر **تـــي (روســـيا اليـــوم) العربية** (٢٠ يوليو ٢٠١٥)، متاح على الرابط:
https://arabic.rt.com/news/789065 (accessed 8 August 2017).

(٢٢) "البنك المركزي: صندوق بريكس لن يقلص احتياطيات روسيا،" **رويـــترز العربيـــة** (٧ **يوليو ٢٠١٥**)، متاح على الرابط التالي:
http://ara.reuters.com/article/businessNews/idARAKCN0PH2AA20150707 (accessed 8 August 2017).

(23)BRICS NDB considers road and railway infrastructure projects to be a priority for potential financial support, ***Sputnik*** (16 October 2016), available at:
https://sputniknews.com/world/201610161046382934-brics-russia-ndb-railways/ (accessed 21 August 2017).

(24)Jessica Evans, "The Brics have a chance to succeed where the World Bank has failed," ***The Guardian*** (29 July 2014), available at:
https://www.theguardian.com/global-development/poverty-matters/2014/jul/29/brics-bank-world-bank-development-infrastructure (accessed 21 August 2017).

(٢٥) ماريو لوتييرى – باولو رايموندى، "دول البريكس ودورها البـــارز فـــى الاقتـــصاد العالمى،" **إيطاليا أوجي** (٢١ أكتوبر ٢٠١٦)، ترجمة: مروة مصطفى، **جريدة الجرائـــد العالمية** (٢٤ أكتوبر ٢٠١٦)، متاح على الرابط التالي
http://www.sis.gov.eg/Story/130514?lang=ar (accessed 10 August 2017).

(٢٦) فريد غايرلي، "دول جديدة ستنضم لبنك "بريكس"!" **آر تي (روسيا اليوم) العربيـــة** (٢ يوليو ٢٠١٧)، متاح على الرابط التالي:
https://arabic.rt.com/business/886529 (accessed 21 August 2017).

(٢٧) ستيوارت م. باتريك، "دول البريكس: ثلاثة أمور يجب معرفتها،" **المستقبل العربـــي**، العدد ٤٣٨ (أغسطس ٢٠١٥) بيروت ، ص ١٧٦.

(28)BRICS NDB Studying Projects from Russia's Bashkortostan, Prioritizes Far East, ***Sputnik*** (1 June 2017), available at: https://sputniknews.com/business/201706011054191309-bircs-ndb-projects-russia/ (accessed 21 August 2017).

(٢٩) "بريكس.. نموذج جديد لتعاون عالمي،" **مركز دراسات كاتيخون** (٥ نوفمـــبر ٢٠١٦)، متاح على الرابط التالي: http://katehon.com/ar/article/bryks-nmwdhj-jdyd-ltwn-lmy (accessed 10 August 2017).

(٣٠) ستيوارت م. باتريك، "دول البريكس: ثلاثة أمور يجب معرفتها،" مرجع سابق، ص ١٧٦.

(٣١) المرجع السابق، ص ١٧٦.

(32)"Russia Says it's Too Soon for BRICS Version of European Court of Human Rights," ***Sputnik*** (21 June 2017), available at: https://sputniknews.com/world/201706211054827205-echr-brics-alternative/ (accessed 19 August 2017).

(33)"Russia Offers BRICS to Join Moscow-Led Counterterror Database," ***Sputnik*** (28 July 2017), available at: https://sputniknews.com/world/201707281055952953-russia-offer-brics-database/ (accessed 20 August 2017).

(34) "Moscow Counts on BRICS Support for Russia's Approach in Syria," ***Sputnik*** (4 October 2016), available at: https://sputniknews.com/politics/201610041045983481-brics-goa-russia-syria/ (accessed 16 August 2017).

(٣٥) أليكسندر كورولیف، "روسيا والصين.. الحد من النفوذ الاقتصادي الأمريكي فى آســيا والمحيط الهادئ،" **مركز دراسات كاتيخون** (٣ سبتمبر ٢٠١٦)، متاح على الرابط التالي: http://katehon.com/ar/article/rwsy-wlsyn-lhd-mn-lnfwdh-lqtsdy-lmryky-fy-asy-wlmhyt-lhdy (accessed 10 August 2017).

(36) Russia Urges BRICS States to Support Proposals for Simplified Investments in WTO, ***Sputnik*** (1 August 2017), available at : https://sputniknews.com/world/201708011056079694-russia-brics-wto/ (accessed 10 August 2017) .

(٣٧) ساشا العلو، "الدور الصيني فى الملف السوري: الأسباب والدوافع،" **مجلة آراء حـــول الخليج**، العدد ١٠٦ (أبريل ٢٠١٦)، ص ٩٤.

(٣٨) المرجع السابق، ص ٩٥.

(٣٩) "إعادة التفكير فى تمحور روسيا مع الصين،" **مركز دراسات كاتيخون** ،(٧ يونيو ٢٠١٦)، متاح على الرابط التالي:
http://katehon.com/ar/article/d-ltfkyr-fy-tmhwr-rwsy-m-lsyn (accessed 12 August 2017).

(40) Antonio Missiroli, "Foreward," in Hiski Haukkala and Nicu Popescu (eds.), *Russian futures: horizon 2025*, **EU Institute for Security Studies,** ISS Report No. 26 (March 2016), p. 5.

(٤١) نيقولاي سوركوف، "كيف ستبدو مجموعة "بريكس" فى عام ٢٠٢٥: حوار مع البروفيسور جيورجي تولورايا،" **روسيا ما وراء العناوين** (٢٨ مايو ٢٠١٥)، متاح على الرابط التالي:
https://arab.rbth.com/world/2015/05/28/2025_30263.html (accessed 8 August 2017).

(٤٢) الحسين شكراني، "الصين والمُفاوضات المُناخية العالمية: بين تعزيز النمو الاقتصادي ومحدودية التّفاعل السياسي مع الدول النامية،" **المستقبل العربي**، العدد ٤٥٢ (أكتوبر ٢٠١٦)، بيروت ،ص ١١٢،وانظر أيضاً:
"Brics Global University Summit in Moscow," ***The Official Website of Russia's Presidency in BRICS***, available at:
http://en.brics2015.ru/allnews/20151028/ 618957.html (accessed 11 November 2015).